الوظيفة الجمالية للتطور الدلالي في النص القرآني

رحماني زهر الدين قرفة زينة
أستاذ مساعد أستاذ مساعد
كلية الآداب واللغات
جامعة البشير الإبراهيمي- الجزائر
bachou٢٠٠٩@yahoo.fr

الملخص:

تعد اللغة قائمة الألفاظ وانطلاقاً من أنها منتهية مهما كثرت، وأنّ المعاني قائمة مفتوحة غير محدودة، فإنّ تطور معاني الكلمات أو تغييرها وانتقالها أظهر ما يكون في تطور النظام اللغوي في جميع مستوياته؛ الصوتية والصرفية والنحوية التي تكون شبه ثابتة إلى حدٍّ بعيد، وهذا لا يعني أنّ التطور في صورة الكلمات غير واقع ولكنّه يظل أقل بكثير من التطور في الجانب الدلالي، وهذه ظاهرة شائعة في كلّ اللغات وذلك لأنّ العوامل الاجتماعية والتغيرات الحياتية التي تواكبها اللغات تفرض ذلك. ولقد كانت قضية تغيير المعنى، والمجاز من أهم المؤثرات في التفسيرات القرآنية، وكانت من أبرز نقاط الخلاف بين الفرق والمدارس الفكرية القرآنية، فانقسم المشتغلون بالتفسير القرآني بين من يؤيد القراءة الحرفية للنص القرآني ومن يُحلّق في سماء الاستعارات والمجازات، فاختلفت التفسيرات ومن ثم التأويلات للنص القرآني. ونحن في بحثنا هذا نحاول أن نستقصي الوظيفة الجمالية للتطور الدلالي للألفاظ في القرآن الكريم ونلحظ تطوراتها الدلالية.

تمهيد:

إن للقرآن روعةً في التصوير، ودقةً في التعبير، وحسنًا في الأداء، وتغلغلاً في أعماق القلوب وتأثيرًا في العقول، واستثارةً للحس، واستنهاضاً للخيال، وانطباعاً في النفوس، وإمتاعاً للوجدان وانفعالاً للمشاعر، وانعكاساً لمرآة الحقائق وظلالها،(١) وحتى الآيات التي تناولت أمر العقيدة إذا تأملناها وجدناها تخاطب العقل والقلب معا، فلا هي بالألفاظ والعبارات الرتيبة، التي يضيق بها سامعها أو قارئها، ولا هي بالمعاني المجردة الغامضة، التي تثير اللبس والإبهام؛ وإنما هي الصورة الأدبية الرائعة التي جمعت في إطارها رونق اللفظ، ورشيق المعنى، وجمال الاتساق، حتى كانت تلك الصورة الحية النابضة، التي يتملاها الخيال، فلا يكاد ينتهي منها إلا وقد انطبعت في النفس وأثرت في الحس، وأقنعت العقل، وأمتعت الوجدان(٢).

لذلك كانت الدلالة النصية للآيات القرآنية متطورة، من ناحية التعبير المساوق لها نحو المعاني تبعا للوظيفة المبتغاة منها، فتارة تكون صورة فنية، وتارة تؤدي محاور فكرية عقلية، وفي أغلب الأحيان يؤدي النص القرآني أثرا نفسيا(٣) فرغم وجود دراسات قديمة وحديثة في اللفظ القرآني بجانبيه المادي والمعنوي، وبخصائصه ومجالاته الدلالية، وأنماطه التركيبية؛ فإن أحدا لم يستطع الوصول إلى فك إعجاز هذا اللفظ القرآني، إذ انصب اهتمام الكثير من العلماء

على دراسة اللفظ وتحليله من خلال المعنى اللغوي المعجمي، الذي يدرس معنى اللفظ من خارج سياق المعنى كظاهرة لفظية، دون البحث عن تعليلها. ولم يدرك البعض أن القرآن الكريم استخدم ألفاظه وتراكيبه استخداما خرج في كثيرا من الأحيان عن معاني الألفاظ المعتادة الجارية في الحديث العادي، والتي يستخدمها العرب في ألفاظهم وتراكيبهم، ولو كان الأمر كذلك لما كان معجزا، فللقرآن طريقته في تأليف ألفاظه، وربطها وتنظيمها؛ فإذا غيرنا هذا الترتيب المحكم، وهذا النظام الدقيق، تغير المعنى فمن الواجب أن يكون للقرآن نظريات وقواعد، تتعدى القواعد العامة، لأنه لا يضاهيه كلام بشر أبدا. لذلك لا يمكننا القول إن الألفاظ القرآنية قوالب للمعاني؛ فالقوالب جامدة، وألفاظ القرآن الكريم في حركة وتجدد مستمرين، تتجاوب وتتماشى مع حركة الكون، وهذا ما جعل القرآن صالحا لكل زمان ومكان(٤).

لا يوجد ترابط كترابط الألفاظ في النص القرآني؛ فالقرآن الكريم كان يختار الكلمة قاصدا لفظها ومعناها معا في موقعها المحدد، فالمتدبر في آيات الذكر الحكيم يلاحظ تنوعا في استخدام القرآن للألفاظ، واختلاف معناها تبعا للسياق، وإن اتفقت دلالتها في المعاجم؛ لأن القرآن العظيم كان دقيقا في وضع الألفاظ في مكانها، واختيارها بدقة متناهية، وإن تفاوتت الألفاظ بدلالاتها على المعاني قوة وضعفا، تبعا للنظم تأتي الذي فيه. وقد ألمح الجاحظ إلى خصوصية دلالة اللفظة القرآنية بقوله: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة و السلامة، وكذلك ذكر المطر بأنك لا تجد في القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام والعامة، وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث"(٥) .

أولاً- وظيفة فنية:

الفن القولي في كلام العرب ذو أصناف ثلاثة : شعر ونثر وقرآن، الشعر بما تدرج عنه من قصائد، ومقطوعات وأبيات وأراجيز وشواهد، والنثر بما تفرع عنه من قصص، وحكايات وأساطير وأمثال وخطب وأسجاع ورسائل، والقرآن وإن اشتمل على بحور الشعر كافة، وتمثلت به أرقى نماذج النثر الفني بعامة، إلا أننا لا نستطيع أن نسميه شعرا، كما لا نستطيع أن نسميه نثرا، لأنه ليس هذا ولا ذاك بل هو قرآن وكفى .

والقدرة البيانية في نصوص القرآن الكريم تجاوزت حدود المعرفة الإنسانية العجلى، حتى عادت ضربا من الإعجاز، وسنحا جديدا من البيان العربي الذي لا يدانيه نص أدبي(٦). ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم ينظم كلماته في كتابه العزيز اعتباطا؛ إنما نظمها كما ينظم الناظم اللؤلؤ

المنثور فالله تعالى قد نظم الكلمات أحسن النظم، من خلال تناسق الكلمة مع ما قبلها، وما بعدها وتناسقها في سمات الآية أو السورة، وهذا جزء من التحدي الذي تحدى الله به العرب، يقول الجرجاني (٨١٦هـ): " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل(٧).

والخروج بالكلمات عن وظيفتها الوضعية الحقيقية هو انزياح عن طبيعة اللغة، لخلق لغة جديدة وهذا لا يكون إلا في النظم، وسر النظم في المجاز، ذلك أن محاسن الكلام في معظمها إن لم نقل كلها متفرعة عن صناعة المجاز، فهناك فرق بين اللغة العادية (الحياتية)، وبين اللغة الفنية وفنية اللغة تكمن في حسن النظم ودقة الصنع(٨).

ومع أن القرآن جاء بهذا اللسان العربي المبين، وعلى طريقة العرب في الأداء والتعبير لكن هيهات أن ترقى أساليبهم إلى أسلوبه، مع كثرة ما جاءوا به من محاسن الشعر وعيون النثر، إذ إن لغة القرآن تدفقت بأسلوب مبدع لا عهد للأسماع بمثله، فلا هو موزون مقفى، ولا هو مرصع مسجع يتجزأ فيه المعنى في عدد من الفقرات، ولا هو مرسل يطرد أسلوبه دون تقطيع أو تسجيع وإنما هو آيات مفصلة متناسقة تروع الخيال بما فيها من تصوير بارع، وتسحر الوجدان بما فيها من منطق ساحر، وتأخذ الأفئدة والألباب بما تحمل من إيقاع جميل(٩).

إذا تأملنا التشبيهات في القرآن نجدها لا تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء بل تتجاوزها إلى المماثلة النفسية وتعمقاتها، حتى أضفت عليها حياة شاخصة وحركة متجددة(١٠)، كما في قوله تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ} إبراهيم: ١٨ فكلمة رماد وردت مرة واحدة في القرآن الكريم، والرماد في اللغة: هو دُقَاقُ الفحمِ من حُرَاقَةِ النَّارِ ومَا هَبَا من الجمرِ فطَارَ دُقَاقًا، والطَّائِفَةُ مِنْهُ رَمَادَةٌ، وقد اسْتَعْمَلَتِ العَربُ كَلِمَةَ الرَّمَادِ كِنَايَةً عَنْ كَثْرَةِ الضّيْفِ في قولهم: كَثِيرُ الرَّمَادِ أو عَظِيمُ الرَّمَادِ، أَيْ كَثِيرُ الأَضْيَافِ؛ لأَنَّ الرَّمَادِ يَكْثُرُ بِالطَّبْخِ(١١).

أما في قوله تعالى فهو يصور كيفية ضياع أعمال الكافرين سدى؛ فنلاحظ انقلاب المعنى الذهني إلى هيئة وحركة، وتجسمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، وليس هذا فحسب، بل يبرز جمال التشبيه القرآني وما فيه من إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وروعة في النظم والتأليف وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها(١٢). وإذا تأملنا هذه الصورة نجد أن المعنى جامع بينهما بعد التلاقي وعدم الانتفاع(١٣)؛ ثم إننا سنقف عند حقيقتين مجازيتين يرتبطان بشد النفس إليهما والوقوف بتأمل ويقظة وحذر عندهما: الأولى

إسناد الاشتداد إلى الريح، لتهيئة النفسي هذه الصورة وحصر التفكير في كيفية هذه الريح ونوعيتها؛ فهي فاعلة متحركة، دائبة متموجة طاغية مطاوعة وليس للريح حول ولا طول في الملحظ التكويني؛ فلا هي مشتدة حقيقة، ولا هي جارية واقعا، ثم إن تسخيرها بالله وحده. فلا إرادة للريح والمجاز هو الذي طوع هذه الحقيقة اللغوية، فأعارها مناخا جديدا، وكأن الريح قائمة، والجري على أشده والحركة ذاتية، والثانية إسناد عصف الريح إلى اليوم هو دال على زمن من الأزمان، ولا تسند إليه الفاعلية حقيقة إلا على نحو المجاز، وكأن المراد هو اليوم فنسب إليه ا إليه العصف(١٤)، وإنما العُصوف للريح.

فالوظيفة الفنية تكون في نقل المعنوي إلى حسي، أي إخراج ما لا تقع عليه إلى ما يقع عليه والصورة الحسية هي المحور في التشبيه الحقيقي الصريح، الذي يستقطب إليه المعاني الخيالية والنفسية، لتتحول إلى مشاهد حقيقية بالتشبيه، تلتزم فيها الألفاظ بمعانيها المركزية، فلا يفهم منها غير معناها الصريح كما سماه الجرجاني(١٥).

الوحدة الفنية في القرآن الكريم تبدو في أشكال شتى، ومظاهر متعددة، تظهر في إتباع أسلوب موحد، يسود جو السورة ملتزمة موسيقى تعبيرية معينة، تتناسب وجو السورة العام والمعاني والأغراض، فضلا عن ترابط المعاني المتسلسلة في السياق ترابطا شديدا(١٦)، في مثل قوله جل وعلى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} النور: ٣٩، فالسراب في اللغة الذي يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ كَأَنَّهُ المَاءُ، ويَكُونُ نِصْفَ النَّهَارِ، وسُمِّيَ السَّرَابُ سَرَابًا لِأَنَّهُ يَسْرُبُ سُرُوبًا أَيْ يَجْرِي جَرْيًا(١٧)، وفي هذه الصورة الأخاذة يتجلى سطح الصحراء العربية المنبسطة والخداع الوهمي للسراب؛ فنحن أمام عناصر مجاز عربي النوع، فأرض الصحراء وسماؤها قد طُبعا عليه انعكاسهما؛ حين نستخدم خداع السراب المغم، لنؤكد بما تلقيه من خلال تبدد الوهم الهائل لدى إنسان مخدوع، ينكشف في نهاية حياته غضب الله الشديد، في موضوع السراب الكاذب، سراب الحياة. فلفظ السراب استقطب مركزيا دلالته من خلال البيئة العربية المشاهدة المحسوسة، وكما يتلاشى هذا السراب فجأة، وينطفئ تلألؤه بغتة؛ فكذلك ما أمَّله هؤلاء الكافرون بأعمالهم الخادعة متماثلة معه في خداع البصر وانطماس الأثر(١٨)؛ فأخرج ما لا يحس إلى ما يحس، والمعنى الذي يجمعهما بطلان المتوهم، مع شدة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قال: "يَحْسَبُهُ الرَّائِي مَاءً " لم يقع موقع قوله: (الظمآن) لأن الظمآن أشد فاقة إليه، وأعظم حرصا عليه(١٩).

والحقيقة أن جمال هذه الصورة القرآنية – الفني – يمتد إلى الصورة التي تليها مباشرة حتى إذا ما ارتسمت الصورتان في الذهن، وحلق في آفاقهما الخيال؛ فما أسرع وأوقع تأثيرهما في النفس: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ}النور: ٣٩-٤٠ ، وإنه لتصوير رائع، فيه ذلك التخيل القوي وفيه روح القصة، وهو بعد في حاجة إلى ريشة مبدعة لو أريد تصويره بالألوان، وإلى عدسة يقظة لو أريد تصويره بالحركات، وحتى هذه لا تستطيع أن تبرز تلك وهي: {فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} أو تصور الظمآن يسير وراء السراب آملا، وهو يلهث دون أن يروي ظمأه {حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} بل يجده مفاجأة، لم تكن لتخطر له على بال {وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ}. (٢٠)

فالصورة الفنية الأولى الشعاع الكاذب في السراب، والالتماع الخلب في البيداء، عقبت ذلك بنقيض الشعاع والالتماع، وبعد تصوير الخيبة من الظفر بالنساء، وعقبته بالظلمات المتراكمة طبقا عن طبق؛ فهي في بحر لا قعر له، عميق غزير المياه، والظلمات المتعاقبة في ثلاثة مظاهر من ظلام الليل، وظلام الغمام، وظلام البحر؛ فلا يرى ذلك إلا بعد عسر وحرج، أو لا يرى ذلك أصلا وأنى له الرؤية، وقد انغمس في ظلمات الكفر، وارتطم بمتاهات الضلال؛ فانعدم البصر والبصيرة فهو في شبهات لا منجاة معها، ومن لم يقدر له الخلاص من الله، فلا خلاص له(٢١).

وإذا وقفنا على التشبيه في القرآن الكريم وجدناه: يشيع الحياة في الجماد، والبهجة في الأحياء والحسن إلى الكائنات، ويحرص أيضا على سلامة الألفاظ في المؤدى، وتهذيب العبارة في الخطاب وتنزيه الباري عن الأنداد، وهنا يقترن الغرض الفني بالغرض الديني، وذلك من خصائص التعبير المجازي في القرآن الكريم. فغدا استدراجه تذوقا نطقيا، أو تجاوبا سمعيا، وقد علمت مدى تعلقه بتهذيب المنطق، وإصلاح الأداء؛ فلا زلل في اللسان، ولا فهاهة في النطق، ولا خشونة في الألفاظ(٢٢)؛ ففي قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}العنكبوت: ٤١. ذكر الله تعالى كلمة (اتخذت) وهي فعل اتصلت به تاء التأنيث للدلالة على المؤنث بعد كلمة العنكبوت: وهي كلمة مذكرة، قال صاحب اللسان: " العنكب جنس العنكبوت، وهو يذكر ويؤنث. قال الشاعر(٢٣):

على هَطَالِكُم مِنْهُم بُيُوتُ كَأَنَّ العَنْكَبُوتَ هُوَ ابْتَنَاها(٢٤)

وتجمع العَنْكَبُوت على عَنَاكِب وعَنَاكِيب وعَنْكَبُوتَات، ومعنى الآية أن من عَبَدَ غير الله، فقد اتخذ وليا من دونه، لا ينفعه ولا يضره، وكان في اتخاذ ذلك كالعنكبوت في اتخاذها بيتا(٢٥)، وهو أوهن البيوت على الإطلاق؛ من حيث بنائه ودقة خيوطه، التي لا تقي حرا ولا قرّا، ولا ترفع عن ساكنه عدوا ورغم ذلك إلا أنه لا يعدو كونه فخا وشركا منصوبا لأية حشرة تقترب منه، ولا يقتصر وهن بيت العنكبوت على الوهن الحسي الظاهر في بنائه فقط، بل هناك وهنا معنويا، حيث بدا هذا البيت لذكر العنكبوت أمانا كاذبا(٢٦)، وقد كان مصرعه حين ظن هذا الأمان(٢٧).

فالجامع هنا بين الأمرين: ضعف المعتمد، والفائدة هي التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين وأس. والآية أرادت تجسيم ضعف هؤلاء الآلهة والأولياء من دون الله عامة ووهن الملجأ الذي يلجأ إليه عُبَّادُهُم حين يحتمون بحمايتهم، فإنها عبرت عن ذلك كله بصورة مزدوجة؛ فهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء: عناكبُ ضئيلة واهية، تأوي من حَمَى هؤلاء الأولياء إلى بيت العنكبوت، أوهن وأضل بيت{إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ولكنهم لا يعلمون هذه البديهة المنظورة؛ فهم يضيفون إلى الضعف والوهن، الجهل والغفلة، حتى يعجزوا عن إدراك البديهي المنظور(٢٨).

ثانياً- الوظيفة العقلية:

عُنِيَ العرب بأساليب كلامهم، وتحدث أوائلهم عنها، فهم أمة قول تحرص على تماسك خصائصه ولاشك في أن الأسلوب مطالب بوظائف متعددة، فتارة تكون وظيفته بلاغية فنية، وتارة إقناعية عقلية، وتارة تأثيرية نفسية، وهذه الوظائف لا تؤديها اللغة الحقيقية، وإنما تجود بها اللغة المجازية ولفهم طبيعة اللغة المجازية، والوظائف التي تؤديها(٢٩). فالمجاز يعنى بتقليب وجوه اللفظ الواحد، لا في الأشباه والنظائر فحسب بل في المعاني الثانوية؛ فينتقل باللفظ من وضعه الأصلي المحدد له مركزيا، إلى وضع جديد طارئ عليه، تحدده العلاقات الفنية، وخصائص المجاز الفنية في القرآن الكريم، تنطلق من مهمته الإبداعية، والإضافية للتراث، والتهذيبية للنفس... وهذه المهمات وظائف أساسية في منظور المجاز القرآني، وهو مؤشرات صلبة تحدد لنا تحرير الألفاظ، وتوجيه المعاني في خصائص المجاز القرآني التي لمسناها في الأسلوب والنفس، ومظاهر الاستدلال العقلي(٣٠). لذا كان لابد من معرفة دور النشاط العقلي، في سعيه نحو المعرفة؛ فعلينا أن نتعرف على ماهية العقل للتعرف على كيفية مخاطبة النص له، ووظيفته في فهم النص القرآني(٣١).

والعقل هو الحِجْرُ والنُهَى، ضِدُّ الحُمْقِ والجمعُ عُقُولٌ، عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً وَمَعْقُولاً، عُقِلَ لَهُ شَيْءٌ أَيْ حُبِسَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ، رَجُلٌ عَاقِلٌ وَهُوَ الجَامِعُ لِأَمْرِهِ وَرَأْيِهِ، مَأْخُوذٌ مِنْ عَقَلْتُ البَعِيرَ؛ إِذَا جَمَعْتُ قَوَائِمَهُ وقِيلَ العَاقِلُ الذي يَحْبِسُ نَفْسَهُ، وَيَرُدُّهَا عَنْ هَوَاهَا، أُخِذَ مِنْ قَوْلِهِمْ: اعْتُقِلَ لِسَانُهُ إِذَا حُبِسَ وَمُنِعَ الكَلاَمَ، والعَقْلُ التَّثَبُّتُ فِي الأُمُورِ، وسُمِّيَ العَقْلُ عَقْلاً لِأَنَّهُ يَعْقِلُ صَاحِبَهُ عَنْ التَّوَرُّطِ فِي المَهَالِكِ، أَيْ يَحْبِسُهُ(٣٢).

فالأصل في العقل إذًا المنع والحبس والتقييد، وهو الفهم الناتج عن المعرفة بالشيء، لذا فالإسلام يمجده باعتباره أهم أداة لمعرفة الخالق عز وجل، ولكن العقل البشري بدل المعادلة الحيوانية، وقلبها لصالح الإنسان؛ فأصبح هذا الكائن الكريم بحكم عقله مكلفا بالمسؤوليات الشرعية ومحاسبا عليه ولعل أشد الآيات القرآنية وقعا وأوجعها على الجهلاء من الناس قوله تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} الأنفال: ٢٢. فأصبح العقل الحجة التي يحتج بها الله على المكلف يوم القيامة {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الحجر: ٩٢-٩٣. وجاءت مادة (ع ق ل) في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة، كلها جاءت بصيغة الفعل المضارع – إلا واحدة(٣٣)– وخصوصا ما اتصل به واو الجماعة: تَعْقِلُونَ ويَعْقِلُونَ(٣٤). قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يوسف: ٢. فالقرآن هو كتاب العقل، وأنه بأكمله دعوة صارخة لتحرير العقل من عقاله، وأنه يدعونا بعبارات تختلف في أسلوبها، وتتحد في معناها استعمال العقل ووزن كل شيء بميزاته، وأنه يترك لنا الحرية في أن نعتقد ما يرشد إليه عقلنا، وأن نتبع السبيل الذي ينيره منطقيا، أو يهدينا إليه تفكيرنا(٣٥). وللوظيفة العقلية اتجاهان الأول: الاحتجاج بالأمور العقلية والاستدلال بالبرهان، والثاني: الدعوة إلى استعمال العقل، والإحالة على النظر فيما يلقى من آيات لتدبر فهمها(٣٦).

والقرآن في كثير من المواضع ينفي صفة العقل عمن عطل حواسه، كالسمع والبصر والنطق عن أن تفيده في المعرفة والوصول إلى الحق والإيمان؛ لأنها تعد منافذ ووسائل للمعرفة(٣٧). كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} الأعراف: ١٧٩. فالأنعام في اللغة مأخوذة من نَعَمَ؛ فالنَّعِيمُ والنُّعْمَى والنَّعْمَاءُ والنَّعْمَةُ كُلُّهُ الخَفْضُ والدَّعَةُ والمَالُ، والنَّعَمُ وَاحِدٌ مَنَ الأَنْعَامِ وأَنَاعِيمُ جَمْعُ الجَمْعِ، والأَنْعَامُ: الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ(٣٨)، وقد تسمى البَهِيمَةُ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ، وإِنَّمَا قِيلَ لَهَا كَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ حَيٍّ لاَ يُمَيِّزُ فَهُوَ بَهِيمَةٌ، لأَنَّهُ أَبْهَمُ عَنْ أَنْ يُمَيِّزَ، ويُقَالُ أُبْهِمَ عَنِ الكَلاَمِ، وطَرِيقٌ مُبْهَمٌ إِذَا كان خَفِيًّا لاَ يَسْتَبِينُ(٣٩). وفي الآية وصف للكفار الذين مآلهم جهنم لا محالة، بأنهم لا يبصرون بعيونهم،

ولا يعقلون بقلوبهم فجعلهم في تركهم الحق وإعراضهم عنه بمنزلة من لا يسمع ولا يعقل. ثم قال بل هم أضل، وذلك أن الأنعام تبصر منافعها ومضارها؛ فتلزم بعض ما تبصره، وهو يعلم أن أكثرهم معاند فيقدم على النار(٤٠) ونظير هذه الآية قوله تعالى: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} الفرقان: ٤٤. ففي الآية الكريمة السابقة وصف لسمع الكافر بالصمم وعينه بالعمى كما نفي الفقه عن قلبه، ونسب إلى البهيمة، ومن لم تنل فكرته أعلام ما غاب عن عيانه نُفِي عنه العلم(٤١).

كما جاء الحديث عن العقل في القرآن باسم الفؤاد، مفردا ومجموعا باعتباره وسيلة من وسائل العلم الأساسية الثلاث: السمع البصر الفؤاد، وكثيرا ما يذكر القلب بدل الفؤاد في مواضع عدة من كتاب الله، قال جل اسمه: { ۖفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} الحج: ٤٦.(٤٢) والقلبُ العقلُ، والعقلُ القلبُ، ويُقَالُ لِفُلَانٍ قَلْبُ عَقُولٌ ولِسَانٌ سَؤُولٌ وقَلْبٌ عَقُولٌ فَهِمُ(٤٣)؛ ففي الآية حث على التّدبر والنّظر إلى ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال، {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا}، أي فيعتبرون بها {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}، أي ليس العمى عمى البصر، وإنما عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفد إلى العبر، ولا تدري ما الخبر(٤٤).

والقرآن الكريم يصوّر ما يؤول إليه الكفار والمنافقون، وما تصير إليه أعمالهم بحشد من الصور الفنية المتتابعة، في مشهد متحرك كما في قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ، مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة:-٢٠ ١٦. إن هذا المشهد قائم على ألفاظ تطورت دلالتها، مثل: اشْتَرَوُاْ والضَّلاَلَةَ والْهُدَى، وصَيِّبٍ ، وظُلُمَات، وأَصَابِعَهُمْ، وأَضَاء؛ فجميع هذه الألفاظ قد حصل فيها تطور دلالي إذ سحبت من معانيها لتطلق على معان أخرى، وفق ما يقتضيه السياق، كخلع صفة البيع والشراء على ظاهرة معنوية تتصل بالإيمان بالله وبضدها؛ فكان إطلاق الهدى على الإيمان والضلالة على الكفر، وبما أن النص القرآني قد وصف سلوك المنافقين في عملية الشراء البيع، التي تقترن دائما بإشباع الحاجة لدى البائع والمشتري؛ فالعمل التجاري يستهدف كسب الربح، وإلا كانت التجارة

عبثا، لذا عندما خيل للمنافقين والكافرين أنهم قد ربحوا في تجارتهم المنافقة و الكافرة، تبين لهم ذلك المشهد العظيم يوم القيامة، أنهم كانوا مخطئين في تقديرهم، لأن المطلوب أن يربح الشخص جانب الهدى في حين أنهم قد اشتروا الضلالة بالهدى، وهذا هو منتهى الخسارة فالهدى رمز للإسلام والضلالة رمز للشرك(٤٥).

ثالثاً- الوظيفة النفسية:

إن الإنسان المتجسد أمام أعيننا، ويتحرك على هذه الأرض، مركب من جسم ظاهر ملموس وفي داخل هذا الظاهر المادي قوى أخرى غير مرئية، تحرك ظاهر الإنسان المادي، وتحدد سلوكه مع نفسه ومع غيره، هذه القوى هي المسؤول الأول عن نوع السلوك الإنساني، مستقيما كان هذا السلوك أو معوجا، وإن ما يصيب الإنسان من خير أو شر نابع منه، ومن صنع هذه القوى الخفية الكامنة في داخله(٤٦)، والقرآن الكريم من حيث هو بيان معجز، جاء ليبين للناس كافة في كل مكان وزمان الطريق السوي والصراط المستقيم؛ فينظم علاقته بربه وبنفسه وبمجتمعه، على أسس سليمة من الحق والعدل. ومادام الأمر كذلك فمن البديهي أن يكون النسق القرآني مركز لهذا الإنسان وانفعالاته وحالاته الفكرية والنفسية خاصة(٤٧)؛ فليس من اليسير أن يساير النص الأدبي النفس الإنسانية وليس هينا أن تتطلب النفس أيضا نصا أدبيا، فالنفس جموح لا تهدأ ولا تُكْبح، وشرود لا يسيطر عليها نص اعتيادي، أو فن قولي، دون أن تتمثل به أرقى مميزات الانجذاب التلقائي، والبعد النفسي المتوازن؛ فتُقبل عليه النفس اشتياقا أو إيناسا، وتعرب عن سواه نفورا أو إيحاشا. فالنص وجودته وحدهما يهيئان المناخ المناسب في النفس الإنسانية، إقبالا على النص أو عزوفا(٤٨). والقرآن الكريم وإن كان لا يخرج عن أعلى طبقات اللغة، ولا برز عن وجه العادة في تصريفها، غير أنه أتى بذلك من وراء النفس لا من وراء اللسان، فجعل من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية وأدار المعاني على سنن، ووجوه تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس فليس إلا أن تقرأ الآية على العربي، أو من هو في حكمه لغة وبلاغة، حتى تذهب في نفسه مذهبها لا تَني ولا تتخلف(٤٩).

إننا أمام آيات تخاطب النفس الإنسانية أحاسيس وملكات ومشاعر، وخطاب من يعرف خفاياها وخباياها وميولاتها المختلفة، كيف لا؟ والله تعالى هو العالم بخفايا نفوس العباد. فهو يعلم {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} ق: ١٦. فجاءت كل آية من آياته المحكمات تكشف حقيقة النفس المؤمنة، وعن زيف النفس الزائغة عن مجة الصواب، وهو بالنفس الحائدة عن السبيل السوي أدرى(٥٠).

وخصائص المجاز اللغوية في القرآن، فضلا عن كونها خصائص فنية، ومؤشرات إعجازية فهي خصائص أسلوبية متطورة للموروث اللغوي. في المجاز تدرك مركزيا وأن اللفظ هو اللفظ لم يتغير ولم يتبدل حروفا وأصواتا وهيأة، و المعنى هو ذاته المعنى لم ينقص عنه شيئ، إلا أنه قد ازداد معنى غير المعنى الأولي، في دلالته الثانوية الجديدة، حينما يراد به الاتساع إلى الاستعمال المجازي، وبتطور ذهني، وتصور متبادر إليه من خلال السياق، والمغادرة المعنوية لأي لفظ من الألفاظ موقعه إلى موقع أرق(٥١)، فتكون دلالتها في الموضع الجديد أعمق تأثير في النفس، مما تعطيه من صورة جديدة في السياق، ففي قوله تعالى: {بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا} الفتح: ١٢. وفي قوله: {قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا} الفرقان: ١٨. وقد ذكرت كلمة (بور) في القرآن مرتين فقط (٥٢) في الآيتين المذكورتين أنفا، ومعنى كلمة (بُورٌ) هو الأرضُ التِّي لاَ تَصْلُحُ للزِّرَاعِة. أما في التعبير القرآني قد دلت على معاني جديدة غير دلالتها اللغوية هي الهلاك والضَّلاَلُ وفَسَادُ القُلْبِ وبُطْلاَنُ النِّيَّةِ والعَمَلِ، ففي الآية الأولى دلت على عدم حسن الظن، وهذا ما أعطاه سياق الكلام الذي خص به الله المنافقين من الأعراب المتخلفين عن الجهاد؛ فاستعار الله لهم كلمة (بور) للدلالة على انشغالهم بالدنيا، وحبهم لها، وأن هذا الحب كالزرع البائر في أرض بور، ولا يُجْنَى منه شيئا، لذا قيل: {قَوْمًا بُورًا} أي : هَلْكَى بلغة عمان، فَاسِدِين بلغة أزد، أي: وكنتم قومًا فاسدين، لا خير فيكم. وهذه الدلالات جميعها نستوحيها من هذه الكلمة، التي وصف الله بها المنافقين الذين تأملوا شيئا ثم خاب أملهم، كالزُّرَّاع في أرض لا خير فيها؛ فيَخِيبَ زَرْعُهم. كما أن الكلمات التي جاءت مع كلمة (بور) كظَنَّ، وزَيَّنَ، ومَتَّعَ، تُوحي معها بشيء مُتَأَمَّل، إلا أن إتْبَاعَها بكلمة (بور) أضفت على النص معنى الانتهاء إلى ضياع الأمل سدى، فكان لقوله تعالى : {وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا}، أثرٌ نفسيٌّ لن تجده في نحو قولك: "وكُنْتُمْ قَوْمًا هَلْكَى، أو فَاسِدِين"(٥٣).

ونجد من صور الجمال في الكنايات القرآنية، ما عُدل فيها عن ذكر الشيء بلفظه الدال عليه لهجنته، إلى آخر يدل عليه غير مستكره، ولا تَنْبُو عنه الطباع؛ فيُعدل فيها عن الحقيقة، لا لقبحها وثقلها على الأسماع والطباع، ولكن إلى ما هو آنس للنفس، وأوقع في الحس، و أدخل في الإعجاب والإعجاز(٥٤)، في مثل قوله تعالى: {نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} البقرة: ٢٢٣. فالحَرْثُ في اللغة

هو: الحِرَاثَةُ وهي العَمَلُ فِي الأَرْضِ زَرْعًا كَانَ أو غَرْسًا، والحَرْثُ الزَّرْعُ والكَسْبُ، يُقَالُ احْتَرَثَ المَالَ كَسَبَهُ، وهو العملُ للدُّنْيَا والآخِرَةِ ، والحَرْثُ إِشْعَالُ النَّارِ(٥٥).

ولكن الاستعمال القرآني وظفها في غير ذلك المعنى، فكفى بهذا التعبير من السُّمُوِّ والرُّقِيِّ ما يدل على عظمة القرآن؛ فلا يخفى ما فيه من ألوان التناسق الظاهر والمضمر، وهو من لطيف الكنايات عن الملابسات الدقيقة، وأدق ما فيه هو ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه، وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال الخاص، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، وذلك النبت الذي يخرجه الزواج وما في كلاهما من تكثير وعمران وفلاح. والعجيب أن كل هذه الصور والمعاني، والدلالات تنطوي في بعض آيه(٥٦).

فكل لفظ في القرآن الكريم دلالة نفسية معينة، طالما أن الإعجاز القرآني هو إعجاز للنفس البشرية أمام اختيار الله سبحانه للكلمات، ونظمها في سياقات مختلفة؛ لتكون أقدر دون غيرها على التعبير عن المعنى، وتصويره وتلوينه في إبداع فني(٥٧)؛ فكثيرا ما تبتعد اللفظة عن دلالتها الوضعية إلى معنى مجازي؛ فتكون صورة مؤثرة في النفس البشرية. فلنتأمل كلمة (ترف) التي وردت في ثمانية مواضع في سياق العذاب والكفر، ولم ترد في سياق آخر، وذلك نحو قوله تعالى: {لَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ} هود: ١١٦. والدلالة المعجمية لمادة (تَرَفَ) هي التَّنَعُّمُ والدَّلاَلُ، والبَطَرُ وسَعَةُ العَيْشِ، ومَلَذَاتِ الدُّنْيَا وشَهَوَاتِهَا(٥٨)، ولا تعني عذابا أو كفرا في الدلالة المعجمية، وهذا يعني أن (مادة تَرَفَ) غادرت دلالتها المعجمية إلى دلالة خاصة في القرآن الكريم وهي العذاب أو الكفر، ولعل انغماس من وقع عليه العذاب، بملذات الدنيا وشهواتها وبطر معيشتهم هو الذي سوغ اختصاص مادة ترف بسياق العذاب أو الكفر.

وما يعزز اختصاص (مادة تَرَفَ) بالعذاب والكفر، ومجيء ألفاظ الإجرام والفسق والكفر والكذب والعذاب، في سياق الآيات التي لازمتها (مادة تَرَفَ)، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ} المؤمنون: ٣٣. كما أن تعدد الصيغ الاشتقاقية في المواضع الثمانية، يدل على ملازمة (مادة تَرَفَ) لسياق العذاب(٥٩)، فقد وردت فعلا (أُتْرِفُوا، أُتْرِفْتُمْ، أَتْرَفْنَاهُمْ) واسم فاعل (مُتْرَفِيهَا، مُتْرَفِيهِمْ، مُتْرَفُوهَا).(٦٠)

ومن عجيب ما نلمسه في القرآن الكريم، أنه لا يسرف في جانب على حساب جانب، ولا يستهلك العقل على حساب النفس، وفوق ذلك كله، لا يسرف على النفس، ولا يستفرغ هواها، بل

هو مقتصد في كل أنواع التأثير عليها، فلا تضيق به، ولا تنفر منه، ولا يتخونها الملال. ففي قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} البقرة: ٥. فالهدى معناها الطَّرِيقُ، وهو ضد الضَّلاَلِ، وهو الرَّشَادُ والدَّلاَلَةُ، والهُدَى النَّهَارُ، قال ابن مقبل:

حتى اسْتَبَنْتُ الهُدَى والبِيدُ هَاجِمَةٌ يَخْشَعْنَ فِي الآلِ غُلْفًا أوْ يُصَلِّينَا(٦١)

وَهُوَ إِخْرَاجُ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وهو أيضا الطَّاعة والوَرَع، وهَدَى يَهْدِي فُلاَنًا أي سَارَ سَيْرَهُ(٦٢). والهُدَى النَّهْجُ،(٦٣) وفي الآية الكريمة أضيفت لها دلالة جديدة هي الاستعلاء، {عَلَى هُدًى} بمعنى أن المنهج الذي قيد حركة حياة النفس، قيدها إعزازا لها، وسموا لمقامها؛ فلا تأخذ من بشر تشريعا ولا تأخذ من ذاتها حركة، وإنما تتلقاه من الواحد الأحد، وهذا بحد ذاته علو وعزة ورفعة ومقام. وأما قوله: {الْمُفْلِحُونَ} فهو إشارة إلى المشهود من الفلاحة في الدنيا، ما يعين عقولنا المحدودة على فهم الغيب، فيشبه العمل وجزاءه في الآخرة بالبذرة والفلاحة، لما لها من علاقة وطيدة بالنفس الإنسانية، وحبها للفلاح الذي فيه استمرارية الحياة، وكما يقال: من زرع حصد، والجزاء من جنس العمل(٦٤). ومن هنا نلتمس الصورة النفسية التي امتازت بها النفس المؤمنة، من صفاء واستقامة وتكامل في الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة.

الخاتمة:

إن اللّغة كائن حي، ينمو ويتطوّر، واللّغة العربيّة كغيرها من اللغات. والقرآن الكريم هو أكبر حدث طرأ على الإنسانية جمعاء، ومما لا شك فيه أن هذا النّص المقدس قد أثّر على اللّغة العربيّة تأثيرا عميقا، فما زال تأخذ منه لغة عالية الفنيّة. وهذا النّص وجدت فيه كلمات جديدة في المعنى بعضها كانت معروفة عند العرب قبل مجيء الإسلام، على أنّ القرآن أعطاها معنى آخر خاص به وبعضها الآخر جديد كل الجدة طارئ على اللّغة العربيّة. فلكل ظاهرة من الظواهر في القرآن الكريم أثر في تأدية المعنى وتعدده. كما أن لتطور الألفاظ في النص وظائف؛ فلكل كلمة معنى، ولكل معنى وظيفة في النص، الذي يؤلفه نظم خاص من الكلمات. فاللفظة القرآنية تجاوزت حدودها المعجمية بغية التأثير الجمالي الفني، كما أن للألفاظ في النص القرآني وظيفة عقلية؛ فلغة القرآن لغة محاججة للفكر البشري؛ ثم إن هذه اللفظ القرآنية في تطورها تصيب موضعا في النفس، لذا يُعمد إلى اختيار لفظة بدلا من أخرى، لما لها من تأثير نفسي.

هوامش البحث:

١ – محمود سليم محمد هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم دراسة أدبية، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط ١ ٢٠٠٨، ص ١٦.

٢- صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط ١، ١٩٩٥، ص ٤.

٣- جنان كاظم جبوري، التطور الدلالي في النص القرآني، ص ١٤٩.

٤- ماجدة صلاح حسن، السياق القرآني والدلالة المعجمية، ص ٩-١٠.

٥- الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٠.

٦- محمد حسين علي الصغير، نظرات معاصرة في القرآن، دار المؤرج العربي، بيروت، دط، دت، ص ٦٥.

٧- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٩٣.

٨- المرجع نفسه، ص ٦٩، ٧٤.

٩- صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن، ص ٢.

١٠- المرجع نفسه، ص ٤٥.

١١- ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٨٥. (مادة ومد)

١٢- صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن، ص ٤٥.

١٣- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٢٤٠.

١٤- محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٤، ص٩٩-١٠٠.

١٥- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٨٣.

١٦- حفني محمد شرف، إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، ص ٢٦٦.

١٧- ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٤٦٦. (مادة سرب)

١٨- محمد حسين علي الصغير، تطور البحث الدلالي دراسة النقد البلاغي واللغوي، مكتبة العاني، بغداد، دط، ١٩٨٨، ص ٥٧.

١٩- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٢٤٠.

٢٠- صلاح الدين، عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن، ص ٤٦-٤٧.

٢١- محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص ٢٨١-٢٨٢.

٢٢- محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن، ص ٨٧-٨٨.

٢٣- ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٦٣٢. (مادة عنكب)

٢٤- القائل مجهول، والبيت لم أجده في كتب الأدب.

٢٥- عبد الله بن الحسن بن ناقيا، الجمان في تشبيهات القرآن، تح، محمود حسن أبو ناجي الشيباني، مركز الصف الالكتروني، السعودية، ط١ ١٩٨٧، ص ١٤٨.

٢٦- اثبت علميا أن العنكبوت لا تبدأ في بناء بيتها، إلا حين تصل إلى مرحلة البلوغ والاستعداد للزواج؛ فتقوم ببنائه والذي يكون عامل حذب قوي للذكر غير القادر على البناء، وبعد أن تتم عملية التزاوج، تذهب الأنثى إلى مكان بعيد تضع بيضها،ويبقى الذكر في البيت يشعر بالأمان إذا بالأنثى تنقض عليه فتأكله، حيث أن أنسجة الذكر مهمة في عملية إنضاج البيض. أبو المنذر خليل بن إبراهيم، بيت العنكبوت، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٨-١٩.

٢٧- أبو المنذر خليل بن إبراهيم، بيت العنكبوت، ١٧ و ١٩.
٢٨- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٢٤٢.
٢٩- جنان كاظم جبوري، التطور الدلالي في النص القرآني، ص ١٦٢.
٣٠- محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن، ص ٨٦ و ٨٨.
٣١- جنان كاظم جبوري، المرجع السابق، ص ١٦٢.
٣٢- ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٥٨. (مادة عقل)
٣٣- جاءت بصيغة الفعل الماضي في قوله تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } البقرة: ٧٥.
٣٤- يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص ١٣.
٣٥- عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، ص ١٥.
٣٦- محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص ٣٩٢.
٣٧- جنان كاظم جبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، ص ١٦٤.
٣٨- ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٧٩. (مادة نعم)
٣٩- المرجع نفسه، ج ١٢، ص ٥٦. (مادة بهم)
٤٠- عبد الله بن الحسن بن ناقيا، الجمان في تشبيهات القرآن، ص ٦٥-٦٦.
٤١- يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، ص ٣٨-٣٩.
٤٢- المرجع نفسه، ص ٢٩-٣٠.
٤٣- ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٥٨. (مادة عقل)
٤٤- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٣٠٦.
٤٥- جنان كاظم جبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، ص ١٧٠.
٤٦ – محمد بهائي سليم،القرآن والسلوك الإنساني،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، ١٩٨٧،ص٢٢.
٤٧- محمود سليم محمد هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص ١٧.
٤٨- محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن، ص ٩٧.
٤٩- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢١٣.
٥٠- عبد العلي الجسماني، علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١، ١٩٩٦، ص ١١.
٥١- محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن، ص ٨٨.
٥٢- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج ١، ص ١٧١.
٥٣- جنان كاظم جبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، ص ١٧٨-١٧٩.
٥٤- صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن، ص ٧١.
٥٥- ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٣٤. (مادة حرث)
٥٦- صلاح الدين عبد التواب، المرجع السابق، ص ٧١.
٥٧- جنان كاظم جبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، ص ١٨٣.

٥٨- ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١٧، (مادة ترف)
٥٩- ماجدة صلاح حسن، السياق القرآني والدلالة المعجمية، ص ١١.
٦٠- هود: ١١٦، الأنبياء: ١٣، المؤمنون: ٣٣، الإسراء: ١٦، المؤمنون: ٦٤، سبأ: ٣٤، الزخرف: ٣٤.
٦١- تميم بن مقبل، الديوان، تح، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص ٢٢٩.
٦٢- ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٥٣. (مادة هدي)
٦٣- ابن منظور، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨٣. (مادة نهج)
٦٤- محمود سليم هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص ٢٥.

قائمة المصادر والمراجع:

١- محمود سليم محمد هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم دراسة أدبية، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط ١ ٢٠٠٨.
٢- صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط ١، ١٩٩٥.
٣- محمد حسين علي الصغير، نظرات معاصرة في القرآن، دار المؤرج العربي، بيروت، دط، دت.
٤- محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٤.
٥- محمد حسين علي الصغير، تطور البحث الدلالي دراسة النقد البلاغي واللغوي، مكتبة العاني، بغداد، دط، ١٩٨٨.
٦- عبد الله بن الحسن بن ناقيا، الجمان في تشبيهات القرآن، تح، محمود حسن أبو ناجي الشيباني، مركز الصف الالكتروني، السعودية، ط١ ١٩٨٧.
٧- يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
٨- عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥.
٩ – محمد بهائي سليم، القرآن والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، ١٩٨٧.
١٠- الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد لسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٨.
١١- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية التجارية، مصر، ط٢، دت.
١٢- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر، ط٢ ، ١٩٩٠.
١٣- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر. بيروت. لبنان. ط١. دت.
١٤- جنان منصور كاظم الجبوري, التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني (دراسة بلاغية) رسالة دكتوراه جامعة بغداد عام ٢٠٠٥.
١٥- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والسنة النبوية، تح، درويش الجويدي، المكتبة العصرية, بيروت، دط، ٢٠٠٣.
١٦- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الثقافة، الجزائر، ط١ ١٩٩٠.

١٧- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح، علي محمد البجاوي، وأبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط ١، ١٩٥٢.
١٨- أبو المنذر خليل بن إبراهيم، بيت العنكبوت، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٢.
١٩- حفني محمد شرف، إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، دط، ١٩٧٠.
٢٠- ماجدة صلاح حسن، السياق القرآني والدلالة المعجمية، مجلة جامعة السابع من أفريل، ليبيا العدد التاسع، ٢٠٠٧.
٢١- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح، محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط ٢٠٠٣.

Occupation aesthetic evolution of semantic in the Quranic text

Abstract

Language is a list of words and from that they finished whatever abounded, and that the meanings open list is limited, the development of the meanings of words or change and transition showed what is in the evolution of the system of language at all levels; acoustic and morphological and grammatical that are semi-fixed to a large extent, this does not mean that development in the form of words is the reality, but it remains much lower than in the semantic evolution, and this is a common phenomenon in all languages because of social factors and life changes that matched languages impose it. The case of changing the meaning, and the metaphor was the most important influences in the interpretations of the Koran, and were the main sticking points between the teams and schools of thought Quranic; the engaged interpretation of the Qur'an divided into teams, among those in favor of a literal reading of the text of the Qur'an and ather team is flying in the sky of metaphors, so different interpretations of Quranic text .In this Search we discussed this in trying to stand on the aesthetic function of the evolution of semantic words in the Koran, and we are noted semantic developments